

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[378] 2 - لقد شقّ موسى (عليه السلام) طريقة وسط أهل مصر من الأقباط وغيرهم... ومال إليه جمع منهم، أو على الأقل خافوا من مخالفته، وطافت أصداء دعوة موسى في أرجاء مصر جمعاء! 3 - وأهمّ من كل ذلك أنّ فرعون لم ير في نفسه القدرة - لا من جهة أفكار عامّة الناس، ولا من جهة الخوف على مقامة - على مواجهة رجل له عصا كهذه العصا، ولسان مؤثر كلسان موسى. هذه الأمور هيأت أرضية ملائمة لأن ينشر موسى (عليه السلام) دعوته بين الناس، ويتمّ الحجة عليهم! ومرّت سنون طوال على هذا المنوال، وموسى (عليه السلام) يظهر المعاجز تلو المعاجز - كما أشارت إليها سورة الأعراف وبينّها في ذيل الآيات 130 - 135 منها - إلى جانب منطق المتيّن، حتى ابتلى أهل مصر بالقحط والجذب لسنوات لعلهم يتّقون "لمزيد الإيضاح لا بأس بمراجعة تفسير الآيات آنفة الذكر"... ولمّا أتمّ موسى على أهل مصر الحجة البالغة، وامتازت صفوف المؤمنين من صفوف المنكرين، نزل الوحي على موسى أن يخرج بقومه من مصر، والآيات التالية تجسد هذا المشهد فتقول أوّلاً: (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي أنّكم متبعون). وهذه خطة إلهية على موسى (عليه السلام) أن يمثّلها ويسري بقومه ليلاً، وإنّ على فرعون وقومه أن يعلموا ذلك فيتبعوهم ليحدث ما يحدث بأمر الله. والتعبير بـ "عبادي" بضمير الأفراد، مع أن الفعل (أوحينا) في الجملة ذاتها مسند إلى ضمير الجمع، إنّما هو لبيان منتهى محبة الله لعباده المؤمنين... وفعلًا امتثل موسى (عليه السلام) هذا الأمر، وعبأ بني إسرائيل بعيداً عن أعين أعدائهم، وأمرهم بالتحرك، واختار الليل خاصّة لتنفيذ أمر الله لتكون خطته نافذة. إلّا أن من البديهي أن حركة جماعة بهذا الشكل ليس هيناً يسيراً يمكن